

اتلاف القوى بالافراط

ما كاد دو لآب الزمان يدور بالشرق فتدول منه دولة العلم وتبزغ شمسها في افق الغرب، حتى حيثها الاذهان من كافة الارحاء نجمة الزمان بطيب النقاء فتحت لها المدارس اوسع الابواب واخذت للتفصيل باقوى الاسباب . ولكن الثريين لاول نهضتهم انعية هاموا بشورة الحواس وحمية الاندفاع فهاتفوا على تناول العلم نهجاً وقرماً تهافت الجلياع على القمصاع لا يميزون في الطلب بين الجوهر والمرض ولا يفرقون بين العث والسمن الى ان قام من ثوابهم من فرقوا بين انواع العلم من وجوه النفع فوضوا الحردد وفرروا الاصول والفروع وقسموا المطالب الى اقسامها الطبيعية واقاموا لكل منها اوضاعها واحكامها وخصوا كل طائفة من المعلم والتفوق بمدارسها ودوائرها وهكذا جعلوا باموس التدرج والارتقاء بدأبون في ذلك التقسيم والتنويع امعائماً وتدقيقاً حتى انقسم كل فرع الى فروع شأن علماء الحيوان والنبات في تقسيم اجناسها وانواعها الى ما يأخذ بالالباب عجياً واعياً

غير انه بقيت بعد ذلك مسائلتان في شأن التهذيب العقلي لا يتألب دونهما الغرض الاقصى من طلب العلم . الاولى قيادة العقل في السبيل القويم من صحة البحث والتحقيق الى الحد المطلوب . فكانت عندم الطريقة المتبعة في التحصيل مجرد الجمع والنقل والاحاطة والحفظ على وجه التسليم والتقليد دون تخيص ولا تدقيق . فقام باكون الفيلسوف الانكليزي في القرن السابع عشر ليلاد ووقف في وجه المقلدين وقفة الجبار الشديد واهوى على تلك الطريقة الموروثه بسيف الانتقاد المخلص في حب الحقيقة فأبان بعد طول الجهاد ما نيهان من بقايا الظلمة وعناصر الفساد حتى مال بقيادة العقول الى النهج السوي في قانون المدرس والبحث في كل مطلب من مطالب العلم . فاليه تُنسب طريقة التعميق في نهضة الغرب العقلية ومن عصره يورثخ نتاج العلم الصحيح على ما سفيته في بندق منفرد ان شاء الله

والسألة الثانية هي ان المدارس لم يكن غالباً يراعى في تثقيف عقله المبدأ العلمي - الفسيولوجي والعقلي والاقتصادي من اختيار المطالب بما يلائم احوال نواهد الصحة والعقلية واغراض حياته العملية . وقد ظل المرثون والمهذبون على هذا الخلل الى عهد غير بعيد . فانبرى علماء الطب المتقطعون لهذا البحث الجليل وكشفوا عن وجه الحقيقة لقام الاوهام بانوار الادلة العلمية ولا يزالون الى اليوم في ميدان الجهاد بقارعون . وقد وقفنا

اليوم على كلام جامع جلي البرهان لبعض اولئك الاعلام في هذا المبحث الجليل الشأن فتوقرنا على استيعاب وتلخيص معانيه الكلية بما وسعه الامكان وهو موضوع هذه المقالة . وقد اخترنا لها هذا العنوان تنبيها على خطارة شأنها وامثلة ذلك لانظار المصلحين من قادة تهذيبنا الشرقي وعلمائنا الافاضل وكتابتنا المفكرين فنقول

من الحقائق البيولوجية ان كل عضو في الجسم الحي يبقى بلا عمل قصيره يحكم الطبيعة الى الضعف فانزوال بعد الضمور والهرال . ولكنه قبل ان يتم فيه ناموس التلف على التدريج يكون عبئا ثقيلا على سائر الاعضاء لانه يقاسمها الغذاء دون ان يعوض عنه شيئا من عمله على سبيل الجزاء شأن الكسالى واهل البطالة في الأسر والجماعات . والعوضو البطل لا يقتصر شرهه على استلاب غذائه من شركاء وجوده العاملة في الجسم الحي بل تدب فيه سموم الامراض والوهن على تهوره وجوده الى ان يتصل شرهه بسائر الاعضاء فيقرب على مجموع الجسم اجل الفناء . ومن اشلة هذه الاعضاء المؤذبة التي لا يعرف لها عمل في الجسم الانساني عضلات معلومة عند المشرحين على اختلاف في درجة اذاعا واشهرها الزائدة الدودية في منتهى المعى الغليظ . فهي عدا انها عادمة الوظيفة تال غذاءها غضبا حراما عرضة لداء وبيل قل ان يلم منه الليل

وان ما اثبتته فروع العلم الحديث كالتشريح والبيولوجيا وعلم الاجنة من امر هذه الاعضاء السلبية التي لا عمل لها قد تنبت له الانظار في كل ما يتعلق بشؤون الانسان الاجتماعية والفردية الداخلة تحت انواع الحيويات الخاضعة لتواقيمها في حالي الارتقاء والانحطاط وفي طليعة هؤلاء المنتهيين القائلون على تهذيب العقول من اهل العلم الصحيح فقد اوضحت هذه الفرقة ان القوى العقلية والجسدية في ناموس الحياة تحت حكم واحد بلا تعريق اي ان كل ما يقبل الارتقاء من ذوات النمو تنشي المؤثرات الخارجية في اعضاءه بعض التغيير حتى تعدها للحفظ المتقدم المرثي وبذلك تشد هذه الاعضاء العاملة قوة في معترك الحياة وتزيج الواقعة منها عن العمل تخلصا من اذاعا بحيث تنصرف المؤونة الحيوية ونشاطها الى كل ما هو نافع في ميدان الارتقاء وعلى ذلك قالوا ان الطبيعة خلقت بحكمة بارها حريصة على الانتفاع من طريق العمل كارهة للبطالة والبطالين تطلب الاغراض العليا من التكمال الحيوي وتسعى اليها بقوى ما لديها من عدة الجهاد حتى يزول من طريق الارتقاء كل عائق ويبقى كل نشيط فائق

هذا الناموس العام اصبح اليوم عمدة منسقي العقول في هذا العهد واضمحى قبلة مساعيجهم

في اصلاح التعليم المدرسي سواء كان في انتقاد مواد الدرس او في اساليب التدريس اعتياداً للاصلاح من اغراض الحياة وملاءمة لترقية القوى العقلية بجمعها . فاختدت طائفة من اولئك الاعلام المحققين لاعوام قليلة تبحث في الشائع العام من موضوعات التعليم لطبقات الطلاب على اختلاف الجنس والعمر وتعرضة على محك النظر العلمي فوجدوا ان كثيراً مما كان يحسب قروناً عديدة حتى الى هذا العصر اصلاً ضرورياً في تمرين كل القوى العقلية وعنصراً جوهرياً في ترقية العقل على الاجمال لم يكن لدى التحقيق القاطع الا وهما ايرتبه عصور الظلام تجرى عليه الناس بخيبة التقايد وانساقوا اليه بقوة الاستمرار فلن يوقف هذا التيار الا صدمة شديدة من نور العلم الساطع ولن يحول مجراه الى نهج الطبعي سوى قوة صديدة من سيفه القاطع

ومن ذلك ان المدارس العليا كانت تحمل اذهان الطلبة اجمعين - بلا تفریق في الاستعداد ولا نظر في القابليات - من دروس الرياضيات السامية واللغات الميتة اعباء باعطة تنوبها حتى تورثها الابعاء والتكالل وتعرض على ما دونها من المدارس الثانوية ان تجري على خطتها فرضاً ازمياً فتتحكم بذلك تحكماً المستبد القاهر بالخاضع الدليل فكانت انكبيات ترضم لا تمتعها ببرنامج الدروس وتوجب عليها اتباعه ولا تقبل مخرجاً منها الاكل من مرء على ذلك المرسوم مهما كان غرضه المستقبل من التصيل ومهما كانت حالة قواه من الجبل النظري والاستعداد الطبعي . وما كانت مجتهد في ذلك كله الا الزعم الموروث بان تلك الدروس الخصوصية متوثبات عامة للقوى العقلية باسمها

اما التحقيق العلمي الذي اخذ يحمل على تلك الاوهام فكانت مبناه من الاستدلال الطبيعي قياساً على نتائج التمرين البدني وهالك البيان

كان الشائع عند عامة اهل المدارس ان مجموع القوى البدنية لا يتقوى الا بطرق مخصوصة من انواع الرياضات وان الصحة على الاجمال لا يضمن بقاؤها في حياة الاستقبال دون ان يكلف طلبة المدارس تمرين تلك الاعضاء المبيتة على اساليب الاجهاد الشاقة . وقد كان من غلبة هذا الاعتقاد ان لم تعد مدرسة تنظم في سلك المدارس العصرية الا اذا افسحت مجالاً لهاتيك المجهودات البدنية حتى اصبح الناس يعدون افضلها ما زادت في تلك الالعب عنفاً وشدة وحتى غذا كل ما يقع فيها من ضرور الاذى والتشويه يتلقاه سواد الناس من باب نداء اغخاص من اجل العام

غير ان العلم تناول هذا البحث فانثبت بالادلة المتكاثرة ان هذه المروضات الخارجة عن

دائرة الاعتدال لم تقارن الشرائع الطبيعية بحال وانما هي وسائل قدرية لتنصيب زخر القوة اغنصاباً ولا تعد الأتكاماً لما لا يطاق . وكل نفع أتى بطريق الكلفة الصناعية لا ينوب عما أتى عن الطبع بل هو رهن ازوال على كل حال بل قد يتقلب فيه غرض النفع الى ضدو من نهاية الضر

فقد ظهر لارباب النظر من الاطباء ان الجسم الفقير من اشداه الرجال الذين فوؤوا بعض اعضائهم العضلية بذرائع ذلك التمرين الصناعي العنيف اصبحوا من ضعفاء القلوب والريثات وانحطت قواهم الحيوية على الاجمال عن المتوسط العام حتى خانتهم في معتوك الجهاد اليومي وانخرمت حياتهم في مستقبل ايامهم اختراماً غارتهم الطبيعة لجاوزتهم حدودها ولم تجدهم تلك الصناعة . والطبيعة لا تساهل فيها ولا تقبل في احكامها شفاء

ولما بلغت هذه التحقيقات الطيبة مبلغها من الوضوح اخذ رجال الطب واسانذة التمرين البدني ينهبون الى ما يحمي بهذه الالامب الآخذة باطراف الافراط من الاخطار على صحة السلامة العمومية وانضح لهم ان اجساد القوة العضلية فوق الاحتمال يفضي الى انهالك القوة البدنية بحملها وان كل عضو يقرى صناعياً ايان نشأته ثم لا يتبأ له ما يكفل دوام استباله من الوظائف والاعمال يسي عبثاً ثقيلاً على سائر الاعضاء وعرضة لانتياب الامراض الخطيرة . وقد فرر احد مشهرة الاطباء لعهد قريب ان ضابطاً بحراً ممن كانوا قد احرزوا نصب السبق في ميدان الصراع فخص طبيياً قبل تقليمه وظيفة معينة من الوظائف الحربية فوجدت قوته الحربية فاصرة عن الحد المطلوب . وقد قال طبيبه ان هذا العجز لم يأت به الا من افراطه في اجساد قواه العضلية ايام صبوته فوق الحد الذي احتاج اليه في مستقبل حياه

فانتضح من كل ذلك نساد الوهم القديم من حصول القوة العامة بتقوية عضو مخصوص وتبين بالبرهان الدامع ان النفع الحاصل من تمرين عضلات معينة يضر فيها لاول امر ودان القوة المنذخرة بذلك التمرين قد تؤول الى الخسران العام اذا كان من نصيبها البطالة والاهمال في الاستقبال . وهذه الحقيقة البيولوجية هي الركن الاوطد الذي بني عليه ارباب هذا الميحث مجتهد حتى لا يجمر مربب او مهذب او مروض على اكرامه فنى او فتاة في ريمان الصبا اجساد قوه بدنية او عقلية دون ان يثبت له القصد المعين من اعمالها في ما تمركت لاجله من الوظائف المخصوصة . وابلغ ما يحسن نقله من كلام ائمة هذا البيان قول الدكتور (بيوت) الانكليزي في كتابه (تهذيب الارادة) وهو على وفق اصله: ان قوه المقاومة

الحياة ليست بموقوفة على القوة العضلية فربما بطن مصارع في ميدان الكفاح او حمال يحمل ابيض الاثقال تراه على الحقيقة ضعيف الصحة او حليف الادواء . وقد ترى رجلاً أليف الحماير والذئبان معتدل القوة العضلية وهو صحيح شديد وذو بنية كالخديد . ولذا فلا يكفي ان نزهد الاجهاد في الصراع والجلاد بل يجب ان نحمده لان القوة الحاصلة منه انما تنافى بطريق مجاهدة القرين وهذه من معارضات التنفس وسبب لاحتقان مخصوص في اوعية العنق والجهة الدموية وما هي على التحقيق الأمهنة مضنية . قال معتدنا في اساس هذه المقالة « لقد أدت بنا التجارب وولنا الاخبار الى اننا نحن الاميركيين لا يجوز لنا متابعة الانكليز في طرق رياضتهم البدنية العنيفة بل اهل اسوج الذين اقلوا عن سابق عاداتهم من اجهاد قوى احداث المدارس والانضاء بها الى دركات الضعف والانهطاط . فان هؤلاء الاصوجيين قد اصبح من مهمهم ادراك احداثهم الصحية والقوة الطبيعيةين بعد ان ايقنوا ان الرياضة البدنية المجهدة اشد اذى من فرط الدرس »

فاذا تبين لنا حكم التاموس الطبيعي في الاجهاد البدني يحسن بنا ان نلثفت الى تقوؤهم في الاجهاد العقلي على ما اثرننا في مقدمة المقالة وهاك البيان :-

للجهاز العصبي فروع مخصوصة منتشرة في الدماغ ولكل منها مراكز معينة تخصص بكل من القوى العقلية المختلفة نوعاً وشدة او كيفاً وكذا . واعمال كل من هذه المراكز العصبية بالدرس المختص به يزيد بناءً وقوة . فدرس الرياضيات مثلاً يعمل بمركزها المختص فيزيدها ثمراً في بنائها المعروف بالعصب القشري ويقوي خيوطه الانتلانية . وقس عليه درس اللغات وغيرها من الایجات الاولية المتقلة . فكل تغيير يحدث في كيفية ذلك الدرس المختص من زيادة او نقص يوصل اثره الى مركز العصب المختص به . وعليه فقد بين الامتخا من بالولوجيا الاعصاب انه اذا اُف او اُخزل المركز المختص بالرياضيات مثلاً فقد صاحبه قوة الادراك الرياضي وحدها دون سواها . وكذا يجري الحكم في اخلال غيره من المراكز العصبية كما اشتهر امر كثيرين عن اعنت مراكز الذكر في اعصابهم ثنائتهم الذاكرة حتى في تذكر ابيض الامور واعم الالفاظ واقرب الحواس . وعلى ذلك قال احد اساتذة العلوم العصبية في جامعة كلومبيا « اذا وقع تغيير في وظيفة عصب ما لا يتصل اثره بوظيفة آخر الا اذا اشتركا بناصر واحدة اشتركا متصلاً لزومياً وان التغيير في الثاني هو على قدر التغيير الحاصل في هذه العناصر التي يشترك فيها الاثنان . . .

فاذا ارتقت وظيفة عقلية بعينها فليس من الضرورة ان ترتقي معها وظيفة اخرى لاتتركها في ما سبق ذكره حقيقة وان اصطلاح الناس على مشاركتها بالانتمى بن قد ترصل اليها الاذى . ومن النادر الذي لا يفتى عليه حكم ان لتساوى وظيفتان عقليتان بنفع يتأتى من اعمال احدهما معها اشتد التشابه بينهما لئلا في عمل كل قوة بمفردها من الاحوال المخصوصة (١)»

فمن ذلك ثبت ان الاشتغال بدرس او فن مخصوص من طريق الاختصاص والانتظام لا يتعدى أثره الى غيرهم من قوى العقل خلافاً لما كان من الوهم الراضخ الشائع الى عهد قريب بل الباقي الى الساعة في غالب المدارس . وهذه الحقيقة جليلة الشأن في امور الدرس والتدريس وتطبيق تراجم المدارس على مبادئها الراضخة الاركان فليوجه اليها اولياء التعليم والتهديب اقصى الالتفات رحمة باغصان الازهان الناضرة من البنين والبنات وقتاً بها ان يوردوها موارد الدبول بل الهلاك . والأفما مجتهم باضناء ذهن ابن السادسة من عمره بما يفوق طوره من المسائل الرياضية وارهافه باستظهار جداول تصريفية وهم يعطون حالة من غضارة الدهن وضأة التوبة ؟ وبعد هذا البيان العلي كيف يثبتون مراعاتهم بان اجهاد بعض القوى العقلية يؤول الى تقوية مجموعها ؟

وحاصل ما ذكر من الحكم العلي اليقيني في امر التهديب العقلي هو :

ان ما تاله قوة مخصوصة من قوى العقل بدرس موضوع عو بص او عمل مضمّن بما لا يرمى استعماله في اعمال الحياة اليومية لا من قبيل المشاركة ولا من طريق الاختصاص انما هو سلب نصيب سائر القوى العقلية من مواد البقاء ولا بد ان ينزل بسقمه القضاء او يقتصر على العقل كذا اجل النشاط والمضاء فضلاً عن اضاءة الوقت ومكابدة الآلام وتجرّع كؤوس الخذلان والحمرمان في ميدان الجهاد

ثم زاد هؤلاء المحققون انه لو حصر امر هذه الاضرار العقلية الناجمة عن مخالفة سنة الطبيعة في وجهها الاقتصادي والادبي لما قاموا لها وقعدوا . اذ الناس قلما ينفلون بغير المحوس المادي من الضرر . ولكنه اجتمع لكل منهم اي المحققين من نتائج الفحص الطبي في العدد المتعدد من الجسدين ما يروع اذاءً ثبت لديهم بالاختصاص ان كثيراً من حوادث الخلل العقلي على انواعه ما تأتي عن خرق ذلك الناموس . وامل غيرهم من سائر الملاحظين

(١) فيسبولجيا التهديب والتنظيم فصل ٨

يرون بدون هذه الآلة الطبية مما عرفوه بانفسهم وكان ماثلاً للابصار
 يذكر كاتب هذه السطور ان وقع له منذ اعوام موافق انكليزي لطبيب مفكر شهير
 اميركي وضعه في اصرار تعليم النبات المشترك مع الصبيان بما لا تخمله فواهن الجنسية عن
 تفصيل علمي واضح البيان عدد فيه ما شاهد في اعماله الطبية من الحوادث الفاجعة في
 النتيات المنقرضات في المرس المحمد مسابقة للصبيان مما انتهى بهم الى خسارة الصحة وزهوق
 الارواح . وقد بقي في المحفوظ من اقواله الخالصة في عرض هذا البيان قوله « انه شاهد
 اثناء سياحته في بعض انحاء سوريا امرأة مكدونة الى جانب بقرة تقفان معاً . وكنت
 على استهجان هذا المشهد انوسف يوثره على فتاة في طور البلوغ مكدونة الى كتابها بنجر
 الهيام العقلي مما يحزن عنه ارتباط القلوب بعبود الغرام »

اما حال الشرق بالنظر الى هذا الضرر فنيست نتيجة في عهده القديم والحديث بعيدة
 الشبه عنها في الغرب اما في العهد الثالث فالامر معلوم من حال طلبتنا الناشئين على النهج
 القديم من الاعتلاق بالدروس السائبة الالية والطائفة المخصصة فانهم لا يحرصون اذها منهم
 في مآزقها الحرجة وتقبليها باخلال حديدية من الخنوع والتقليد وتغلظها في مجال ذلك
 التيه السحيق اصبحوا وهم على جمود لا يفقهون معه معنى الجمود كما فهم من بها ليل اهل الجذب
 والدهول مما تضحك به الصبيان فضلاً عن اهل العقول

سكن لي بعضهم عن قييد الفضل الملامة الفيلسوف الدكتور فانديك الكبير انه قال
 لطفقة من امثال هؤلاء الطلبة الاغراب « انصحكم يا اولادي الا تلمزوا جانباً واحداً من
 المعارف على طريق الجهل التامة في المشاركات بل فيما انتم آخذون به من المطلب الخاص
 لا تقبلوا بكتابكم كل الميل عن سواء والا كنتم نظير شجرات معروفة في ضواحي صيدا
 تهب عليها الرياح من جهة واحدة حتى اصحبت كلها على خط مائل الى تلك الجهة مما
 تستهين الانظار » كما انه يقول لا يعني فن فن ولن تنوب قوة عن قوة كما تنوب بعض
 علامات الاعراب عن بعض

واما نتائج تهذيبنا النارية في العهد الحديث فهي ان اكثر مدارسنا الشرقية بتقليدها
 مدارس الغرب في مواد التدريس لا تراعي حال البلاد الاجتماعية والاقتصادية فاذا لم
 تستقل بمنطقها على ما يوافق شؤنها الخاصة الطبيعية فلا بد ان تصير يوماً الى ذلك المصير
 والذي شهدته العقلاء المفكرون الى اليوم من حال بعض طلبتنا وانبياتهم في تيار ذلك

التقليد مقرباً لآمال التي نخشاه . فان غالب تلك المدارس مرتكبة ممن الشطط بأكراه
 حصول الاحداث على المجاهدة في درس بعض المواد القيمة على حين انها لا تجدي العقل في
 الحال سوى لفتور وفتية من سابقه او مباحاة وان أجبت في ثقوبة ملكة او اوسعة نظر
 فقد لا يرحى منها اشتغال في الاستقبال

وليس المتنام الآن موضع هذا التفصيل فكنتي منه بالاشارة وبكل البسط الى فرصة
 اخرى ان شاء الله . ولا يظن هنا اننا نستثنى من هذا الحكم حال كليتنا على العموم . فانها
 على وفرة بركتها ولعمها من توسيع مدارك الطلاب وتوير اذهانهم بالمعارف العصرية على
 اختلاف الاجناس والانواع بما يعدُّ اساس نبضة الشرق الحديثة فقد لا تخلو من شائبة
 ذلك الخلل الافراطى في التهذيب العقلي ضاربة اكشف حجاب على سنة الكون التدريجية
 فخرجت عن مراعاة حال البلاد في المكان والزمان . فانك تشاهد من صحبك وذويك
 شيئاً م غاية في النجابة والذكاء وقد نالوا اسنى درجات الفوز والسبق في ميدان الطلب
 وكثيراً من تلك المطالب التي انتقروا في تحصيلها زهرة العمر وبدرة من المال لم تعد عليهم ينفع
 في جهاد الحياة الحثيبي بل ان تلك القوى التي انموها كدحاً وكفاحاً رُذت الى حال الخمول
 والوهن وكان من آثار غلبتها على غيرها من القوى التي حققت الحاجة اليها يوم العمل ان خذل
 صاحبها الخريج الحاذق والمتفطن السابق والرياضي المبرز والتاجر الوهمي التابع وراح ذلك
 الكاتب الثائر والشاعر الباهر يندب ايام صباه وحظه من دنياه وما كانت طلة شقائه الا
 انه لم يشغل في ما ينفع ولم تدخر قواه في حياة بقائه

اتفق لنا اننا يوم كنا نفكر في شأن هذه المقاتلة ضمتنا واحد منشئ المقتطف العلامةين
 المفكرين مجلس اساق فيع الحديث الى ما سبق فصدق عليه رعاه الله وزاد ما سناه
 « وليس هذا البحث قاصراً على شأن الطالب الفرد بل يطلق ايضاً على الشرق كله مع مجموع
 طلابه بمعنى انه ينبغي ان تراعى في عدد المتعلمين العلم العالمي عموماً حاجة البلاد فاذا ازداد
 عليها وضافت الحالة الانتصادية عن استخدام قوام كلهم لحق بهم وبالبلاد جميعاً ذلك انصر
 الطبيعي جرباً على حكم هذه القاعدة العلمية البيولوجية . فحين نجد اننا بوجوب تعميم التهذيب
 والتعليم انما يريد توير طبقات الامة باجمعها حتى يعم القلاح والصانع والتاجر لا نبوغ افراد
 طلابها كلهم او اكثرهم في القنون الدنيا وبقاءهم عالة على البلاد »

نقول هذا ونحن غير ذاهلين تماماً في الايام العام باركان العلوم النافعة من تثقيف القوى
 العقلية كلها وفائدة المشاركة بها حتى لاهل الاختصاص المتفردين على ما يؤخذ من بعض

كلامنا السابق . غير ان ذلك يجب ان يكون من مقياس الحكمة والتعديل على اقوم مقدار . وان واجب الامانة هنا ليقضي على رؤساء المدارس ونظار لوائهم المخلصين ان يعتمدوا في شؤون وضعهم . الثقة من كبار الاساتذة الذين نضج اختبارهم وصحت انظارهم في تطبيق الدروس على مناسل الاحكام الطبيعية والبيادية العملية . فان ما جرت عليه غالب مدارسنا الى هذا العهد في تقرير لوائهم اما ان يكون بطريق التقليد الموروث او حرماً على غرض قومي مذموم او ضرباً من الاستبداد الرئاسي او الجهل الرئاسي حتى ولو كان فيه ما فيه من حسن القصد فلن يشفع في النتائج ولا يدفع المخطورات

هذا ولعل تهذيب فتاىنا الشرقية على التخصيص لا يقل خطورة شأن عن تهذيب اخيها وربما خفي فيه وجه الصواب على بعض المصلحين وقد لا يخلو امر الباحثين فيه من اختلاف النظر وتضارب الآراء . ولكن الخلل الاقرب لهذا الاشكال عند شيوخ المحققين هو ان يقتصر في تعليم الفتاة على ما هو اذنع لمقامها الخاص في حياتها الشرقية على وفق حال البلاد من الارتقاء العام . وقد ايد الاحتيال ان الدروس الاخلاقية والادبية والعلمية والمعمات التاريخية والرياضية والطبيعية وافية بمحاجتها العقلية وقد تزيد عن حاجتها في بعض الطبقات . واجمعت ارباب العقول ان تدر بها على فنون تدبير المنزل والاقتصاد واصول التربية والحياة البيئية اكفيل بوفاء واجباتها الجنسية الشريفة من التبحر في العلوم العقلية والنقلية بحارة او ميارةً مما يفضي كد ذهنها فيه الى الاضرار الصحية على ما سبق نقله عن علماء الصوة

ولما كانت رعاية مقتضيات الزمان والمكان في شؤون التهذيب كله ركناً لا يحيد عنه حياة الامة ولا سيما في حال نهضتها المدنية لم تكن بحارة الفتاة الشرقية في آوتها الحاضرة لاختها الغربية قربنة الحكمة والصواب . وكل ما تنقله محلاتنا وجراندنا من تراجم شهيرات الغرب ونايقاته في مزاحمتين لافراد رجال الفلسفة والعلوم العويصة ان قصد به مع التمثيل والتاريخ اغراء المرأة الشرقية على السعي اليه اليوم فهو في حكم المتبصرين خروج عن الطور الطبيعي من سنة الارتقاء

متري قندلفت

دمشق